

نشأة الدين وعلاقته بالفكر الفلسفي

The emergence of religion and its relationship with philosophical thought

بن عبد المولى نصيرة Benabdelmaoula Nacira*
فلسفة جامعة وهران 2- (الجزائر) naceraphilo@gmail.com
مغربي زين العابدين Megharbi Zine El Abiddine
فلسفة جامعة جيلالي ليايس-سيدي بلعباس- (الجزائر) logiquezino@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2025-05-17	تاريخ القبول: 2025-05-05	تاريخ الإرسال: 2024-12-02
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

الدين عند قدماء اليونان في صراع مع العلم، حيث يقصد من العلم، اليوم، مجموعة من المعارف الوضعية التي حصلها الإنسان. بل كان في نزاع مع الفلسفة، أيضاً، وهي تعني، التأويل العقلي للعالم والحياة أو المعتقدات الموروثة، ولقد نشأت الفلسفة في بعض وجوها من الدين نفسه، حسب بعض الباحثين، فإن الخرافات هي وحي أسدل عليه ستار النسيان، لكنها كانت مختلطة متقلبة متباينة، بل كانت متناقضة لا عقل فيها البتة. اجتمع فيها ما هو من صنع الإنسان بما هو إلهي، لذلك فأصل العقائد الأولى لا بد أن لا نرده للخرافات مطلقاً، بل، الأمر متعلق بطبيعة التفكير في المجتمع ونظريته للطبيعة حوله، لكن طبع الترسخ العقائد والدين قد يلجأ المجتمع لربطها بالخرافات والأساطير، والفلسفة إنما ولدت في حاضنة شعبية وجانب من الحرية في قلب الميثولوجيا الشعبية نفسها، فبدأت الفلسفة بطبيعة الحال بإنكار حاضنتها ومحاربتها.

الكلمات المفتاحية: الدين؛ الفكر الفلسفي؛ الحكمة؛ الشريعة؛ لأسطورة

Abstract:

Among the ancient Greeks, religion was in conflict with science, where science is understood today as the body of empirical knowledge acquired by humanity. It was also in tension with philosophy, which denotes the rational interpretation of the world, life, and inherited beliefs. According to some scholars, certain aspects of philosophy originated from religion itself, with myths regarded as revelations veiled by forgetfulness. However, these myths were inconsistent, fluctuating, and contradictory, wholly lacking in rationality, as they blended

* المؤلف المُرسل: naceraphilo@gmail.com

human constructs with divine elements. Consequently, the origins of early beliefs should not be entirely attributed to myths. Rather, they are tied to the nature of societal thought and its perception of the surrounding natural world. Nevertheless, to consolidate religious doctrines, societies often linked them to myths and legends. Philosophy, for its part, emerged within a popular milieu and an atmosphere of partial intellectual freedom at the heart of folk mythology. By its very nature, philosophy began by rejecting and challenging the very cradle from which it arose.

Keywords: Religion, Philosophical Thought, Wisdom, Law, Myth.

1. مقدمة:

انطلقت الفلسفة انطلاقاً مسالمة مهادنة أمام الدين، فكانت انطلاقاً متضامنة إلى حد جاءت فيه لخدمة الدين، حيث نعتبر كل من الفلسفة والدين حركة فكرية تسعى كل على حدا وعلى طريقتها الخاصة في الوصول إلى الحقيقة ومساعدة الإنسان على فهم معضلات الحيات وتعقيداتها، وبعض ما يكتنفها من أسرار والعيش حياة عادية تسودها أجواء من الراحة والمتعة، ولقد أدى توسع مجال الفلسفة من حيث كانت تهتم بدراسة الموجودات من ناحية الوجود إلى تبني فكرٍ راقٍ وطرح مسائل في قمة العظمة، فقيل في ذلك يبدو وأنه قد حلَّ العصر الذي يمكن فيه للفلسفة أن تنشغل بالدين بأكثر حرية وبصورة أجدى وأنفع، والدين باعتباره حداً مرجعياً، أثار الجدل الفكري الذي دار بين العقل والنقل في الفكر الإسلامي قديماً هو حديثاً، باعتبار كون التفاوت أو الاختلاف في النظر إلى الدين كان مصدر ذلك الجدل، فالدين يختلف باختلاف المتدين، ومن نتائج هذا الاختلاف أنه يصعب تحديد مفهوم الدين بصيغة تقبلها جميع الأديان، لأن هذه الأخيرة متعددة ومتشعبة، وإضافة إلى ذلك فإن معظم المعتقدات الدينية هي من نتائج الوجدانية لدى البشر، وقد ضلت مسألة الدين حتى عصرنا هذا تأخذ هذا الطابع من الصراع والاختلاف على المستوى الأيدولوجيا وعلى المستوى الاجتماعي والسياسي، عرفه علال الفاسي مجرد جانب واحد من جوانب الحيات المتعددة، لأنه ليس هنا كأمر مماثل الطبيعة في شمولها وسريانها، فلا يمكن لأي أمة أن تختار في حياتها إلا أحد الأمرين؛ إما التدين والإيمان والسلوك وفقاً لعقيدة وإما الإلحاد، أي التخلي عن الإيمان والدين¹، كما حلَّ مالك بن نبي ظاهرة الدين في كتابة الظاهرة القرآنية، وانتهى القول: بأن الدين

¹ علال الفاسي، النقد الذاتي، دار الكتاب المغربي، المغرب دط، 2007، ص 81

ظاهرة كونية تتحكم في فكر الإنسان وفي حضارته، كما تتحكم الجاذبية في المادة والدين، بهذا السريان الشامل في كل أجزاء الكون وفي الوعي الإنساني، يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، أو كأنه قانون للوعي¹، ويعرف ابن رشد بأنه الشريعة وتعني القانون الالهي، أما تعرف الفلسفة فهي الحكمة التي تبقى المعرفة عن طريق الاستدلال والبرهان، فالفلسفة إذن ليس تشيئاً أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع أي أن الموجودات تدل على الصانع لمعرفة نقدتها، وكلما كانت المعرفة وكلما كانت المعرفة بصنعها كلما كانت المعرفة بالصانع أتم²، وعند اليونان الفلسفة هي الرغبة في المعرفة والتفسير العميق والتزود بوجهات النظر القائمة على الأصالة والتأمل في ما يتعلق بمشاكل الحيات بصفة عامة، وعند أفلاطون المعلم الأول: الفلسفة تعني كسب المعرفة بشكل عام والوصول إلى المعرفة الحقيقية للأشياء، عند أرسطو (322_384) الفلسفة هي علم الوجود بما هو موجود أو علم العلل البعيدة والمبادئ الأولى³، وفي الفكر الفلسفي عند السوفسطائي تعني الفلسفة التلاعب اللفظي الذي يعين صاحبه على تأييد القول الواحد وتنقضه على السواء، وفي الفلسفة الإسلامية الفلسفة تعني عند اخوان الصفا أن أولها محبة العلوم وأوسطها بمعرفة حقائق الموجودات حسب الطاقة الانسانية، وآخرها القول والعمل بها يوافق العلم⁴، وفي الفلسفة الغربية الحديثة عند ديكارت الفلسفة هي كلها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزياء وجذوعها الفيزياء وغصونها المتفرعة عن هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى⁵، فالفلسفة كانت توصف بألم العلوم في القديم وقد كان الرجل يسمى فيلسوفاً إذا ما صار له معرفة شاملة وموسوعية في كل المجالات بما في ذلك الإلهيات والوحي والأمور الغيبية .

إشكالية البحث:

ظهرت العلاقة في القرون الوسطى ساهمة بدورها في إقامة جدل واسع النطاق بين الفلسفة والمفكرين ورجال الدين، فطرح بذلك تساؤلات عديدة عن إمكانية تفريقهما

¹ مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، 1961، ص 344

² احمد شويحات، موسوعة العربية العلمية، الفلسفة وأهميتها، 2007، ص 80

³ عبد الرحمان بدوي، أرسطو، النهضة المصرية 1964، ط4، ص 284

⁴ التصوف الإسلامي، ج1 ص52

⁵ ديكارت روني، مبادئ الفلسفة

عن بعضهما أو دراسة كل واحد منهما على حدا أم أنهما مرتبطين إذا تنحى الدين جانبا واقتصر على دراسة الفلسفة كمجال للفكرة الشاملة فإنه من الطبيعي الإقرار بالتخاصم بينهما باعتبار أن الأول تهتم بالنقد والحرية والثاني يؤثر بالتسليم والإتباع، وللجواب على الإشكالية يمكن طرح التساؤلات التالية:

-هل يمكن القول أن الفلسفة نشأت في رحم الدين ؟ وما هو تاريخ نشأت كل منهما ؟
-كيف يمكن فهم العلاقة بين الدين والفلسفة باعتبار أن لكل منهما أدوات ومنهجه في التفكير للوصول للمعرفة ؟
أهداف البحث:

-معرفة طبيعة الفكر الديني وكيف يمكن التمييز بينه وبينه الفكر الفلسفي
-الوقوف على بعض المغالطات حول الفلسفة وتلك النظرة الخاطئة للفلسفة والفلاسفة

-العمل على الخروج برؤية مستقبلية لإنصاف الفكر الفلسفي من هجوم المتدينين

2. نشأة الدين والفلسفة

نشأة الفكر الديني

لم يكن الدين عند قدماء اليونان في صراع مع العلم بالمعنى الذي نقصده من العلم اليوم، أي مجموعة المعارف الوضعية التي حصلها الإنسان، بل كان في نزاع مع الفلسفة وهي التأويل العقلي للعالم والحياة أو المعتقدات الموروثة، ولقد نشأت الفلسفة في بعض وجوها من الدين نفسه¹، بمعنى أنها جاءت نتيجة لبروز إشكالية الدين وعلاقته بالمجتمع من حيث المعتقد وأساسه الفكري، ولم تقم على خدمة الدين في اليونان هيئة منظمة من رجال الكهنوت مما ترتب عليه أن الدين لم يظهر في ثوب من العقائد الثابتة الواحدة ولم يفرض إلا طقوسا أي أفعالا ظاهرة تشغل جزءا من حياة المواطن اليوناني، ونحن نعلم أن المجتمع اليوناني كان مجتمعا متعدد المعتقدات التي غالت في الخيال في صراع الإنسان مع الآلهة وإنصاف البشر كما أن اليونانيين وضعوا لكل شيء إله خاص به، وكان الدين إلى جانب ذلك حافلا بالأساطير والخرافات التي تثير الخيال وتذهب العقل وتدعو إلى التأمل ولكن السؤال المطروح هنا ما مصدر هذه الخرافات ؟،

¹ إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر العربية، د.ط، 1973،

حسب بعض الباحثين فإن الخرافات هي وحي أسدل عليه ستار النسيان لكنها كانت مختلطة متقلبة متباينة بل كانت متناقضة لا عقل فيها البتة اجتماع فيها ما هو من صنع الإنسان بما هو إلهي لذلك فأصل العقائد الأولى لا بد أن لا نرده للخرافات مطلقا بل، الأمر متعلق بطبيعة التفكير في المجتمع ونظرته للطبيعة حوله، لكن طبعا لترسيخ العقائد والدين قد يلجأ المجتمع لربطها بالخرافات والأساطير، والفلسفة إنما ولدت في حاضنة شعبية وجو من الحرية في قلب الميثولوجيا الشعبية نفسها فبدأت الفلسفة بطبيعة الحال بإنكار حاضنتها ومحاربتها¹، فالأمر متعلق بالمجتمع الذي يحضن هذه الظواهر أو يرفضها ويقمعها، يقول حول ذلك الفيلسوف اليوناني زينوفان البشر هم الدين خلقوا الألهة لأنهم يلتمسون فيها صورتهم الحقة وعواطفهم ولغتهم ولو عرف البقر التصوير لخلع على العته هيئة البقر، ولقد نسب هوميروس وهزيود إلى الإلهة كل ما هو أثير في البشر²، والفلسفة لم يكن مرحبا بها خصوصا في المجتمعات المتشددة المتمسكة بالدين بشكل دوغمائي كما هو الحال في البيئة العربية الإسلامية .

إن البحث في أصل التدين هو أمر قديم، حيث تساءل كل المهتمين بالفكر الديني عن مصدرة الدين ومدى صحة تعاليمه بناء على صحة مصدره، وقد برزت عدة اتجاهات جاءت لتبرز الأصل الحقيقي لنشأة الدين، ومن بينها:

الاتجاه العقلاني الذي ترتب على نظريتين:

- النظرية الأرواحية: برزت هذه النظرية كأقوى معبر عن الاتجاه العقلاني في تفسير الدين، وتمتعت بقبول لا بأس به من طرف الدارسين والمهتمين، حيث يرى الفيلسوف والاجتماعي البريطاني هربرت سبنسر، أن البشرية لم تعرف في مراحلها الأولى الدين، ولم يتشكل الدين عندها إلا، لما بدأ الناس بتقديس أرواح زعمائهم الذين رحلوا عن هذا العالم وتحولت أرواحهم تدريجيا إلى آلهة، وجاء بعده الأنتربولوجي تايلور، وقام بتطوير هذه الفكرة الأساسية عند سبنسر، ليبني عليها أسس النظرية الأرواحية، يرى تايلور أن الإنسان البدائي لم يكن يستطيع الفصل والتمييز بين الكائنات الحية والأشياء الجامدة، لهذا افترض أن حركة المظاهر الطبيعية مربوطة بالأرواح الخفية التي تسكنها، فأصبحت فكرة الروح تشمل كلا العالمين عالم الكائنات الحية كما تشمل عالم الطبيعة، لهذا

¹ المرجع السابق نفسه، ص 10

² المرجع نفسه، ن ص

ربط بين عبادة أجداده وعبادة مظاهر الطبيعة¹، ويمكن التأكيد على أنه هناك فكرة مهمة عند تايلور وهي أن نشوء الدين يأتي من التأمل في العمليات النفسية للإنسان، فالأحلام مثلا عندما تأملها الإنسان البدائي أوصلته إلى فرضية وجود الروح ومن ثم انتقل إلى فكرة عبادة أرواح أجداده، فالدين عند تايلور نشأ من مفهوم ذهني تشكل عن طريق التفكير والتأمل في الأحلام .

النظرية الطبيعية:

أصحاب هذه النظرية هم من الباحثين في أديان الحضارات الكبرى، وأبرزهم ماكس مولر، حيث أنه بعد دراسته لأسفار الفيدا السنسكريتية في الهند، وجد أن معظم أسماء الآلهة الهندو أوربية، هي كلمات تدل على ظواهر طبيعية، فالاسم أغنى - Agni الذي يطلق على إله النار، هو نفسه اسم النار، سواء في اللغة السنسكريتية أو في لغات هندية وأوروبية أخرى ففي اللاتينية كلمة Ignis التي تدل على النار بمفهومها المعروف لدينا، وكذلك كلمة Ugnis بالليتوانية، وOgni بالسلافية القديمة، وبعد قيام مولر بهذه المقارنات اللغوية، توصل إلى أن العواطف الدينية في بداياتها جاءت نتيجة استثارة من عالم الطبيعة؛ فالإنسان البدائي عندما تعامل مع الطبيعة أصيب بالدهشة والحيرة، فعبر عن دهشته بإيجاد آلهة أعطاها أسماء الظواهر الطبيعية التي لم يستطع لها تفسيراً، ويرى مولر أن هذه المواجهة البكر مع الطبيعة وإن كانت تعطينا بداية الشعور الديني²، إلا أنها لا تعطينا الدين في صورته المنظمة، وهذه الصورة المنظمة للدين بدأت عندما أخرج الإنسان مظاهر الطبيعة إلى واقعه، واعتبرها كائنات روحية حية فاعلة ومؤثرة، وقد وجد مولر أن اللغة السنسكريتية التي اعتمدها في دراسته اللغوية الميثولوجية، تقوم على " الفعل " أكثر من قيامها على " الاسم "، وهو ما تشترك فيه اللغات السامية عموماً، فمثلاً في اللغة العربية نرجع كل الكلمات إلى جذر الفعل الثلاثي، حيث نستطيع أن نستخرج كمثال هنا من فعل " كتب " الكتاب والمكتبة والكتاب، فاللغة تقوم على الحركة التي يولدها الفعل لا على الثبات الذي يتميز به الجسم، لهذا يرى مولر أن قدماء الهندو أوربيين في لغتهم السنسكريتية، قد قاموا بتسمية قوى الطبيعة بما يدل على فعلها حيث أن اسم الصاعقة يدل على الشيء الذي

¹ معيلي عيسى، محاضرات في فلسفة الدين، ص 05

² المرجع السابق نفسه، ن ص

يمزق التربة أو ينشر النار، أما الريح فهي الشيء الذي يصفر، والشمس هي الشيء الذي تصدر عنه السهام الذهبية، والنهر هو الشيء الذي يفيض، وبتعاقب الأزمان صارت ظواهر الطبيعة شخصيات فاعلة تحولت إلى آلهة بواسطة المخيال الجمعي، كما أن والنظرية الطبيعانية كان لها تأثير كبير في وقتها، حيث نجد "بيتازوني" يقرر أن أغلب الثقافات تعطي المركز الأول في مجمع الآلهة إلى إله السماء أو إلى شكل من أشكاله مثل إله الطقس، ليصل إلى القول بأن السماء تعبر عن مظهر طبيعي سامي هو الذي أوجد فكرة الإحساس الديني¹، أما "جاكسن" فيستنتج من دراسته للميثولوجيا السومرية بأن إبراز الفكر الأسطوري السومري لقوى الطبيعة باعتبارها آلهة لا يمكن شرحه ولا فهمه إلا في إطار العلاقة الوثيقة التي تربط بين الإنسان والطبيعة.

الاتجاه العاطفي:

يرى هذا الاتجاه أن الدين هو انعكاس للعواطف الإنسانية ولا علاقة له بالتفكير والتأمل الذهني. وأهم عاطفتين عند الإنسان "الخوف والطمع"، ويرتبط أقصى خوف عند الإنسان بفكرة الموت، أما طمعه فهو عكس خوفه حيث يطمع بالاستمرار في الحياة، هاتان العاطفتان تقودان إلى معتقد يجعل الإنسان ذا كيان مادي وكيان روحي يزول الكيان الأول بالموت، أما بالنسبة للكيان الثاني فإنه سيتجاوز الفناء المادي وينتقل إلى مستوى آخر من مستويات الوجود، حيث يتمتع فيه بالحياة الأبدية، لهذا ارتأى أصحاب الاتجاه العاطفي أن الحس الديني هو نتاج ثانوي، جاء من العاطفتين السابقتين، الخوف من الموت والطمع في الخلود²، وهذا جعل فكرة الألوهية ترسخ أكثر في فكر الإنسان لكي يحقق لنفسه الخلود.

الاتجاه الارجاعي:

يتميز هذا الاتجاه بالتزامه بصيغة تقريرية تقول "إن الدين ليس إلا...كذا"، وهذا يعني إرجاع الدين إلى نظام معرفي آخر، ونحن بهذا لا نحل مشكلة الدين فقط، وإنما نطرح مشكلة أخرى هي مشكلة "الكذا" كما يقول فارس السواح، وبإرجاعنا الدين كله إلى "كذا"، ندخل في متاهة جانبية تقوم بتحريف وجهتنا في دراسة الظاهرة الدينية ونشغل بأمور ثانوية ليست هي مدار بحثنا في نشأة الدين، وأبرز مثال على هذا الاتجاه الإرجاعي

¹ المرجع السابق نفسه، ص 06

² المرجع السابق نفسه، ن ص

هو ما يسمى "الإرجاعية السيكلوجية"، حيث ترجع الدين كله إلى جملة من العمليات النفسية، وعندما نقوم بدراسة هذه العمليات النفسية نستطيع الوصول إلى نتيجة مفادها أن الدين ما هو إلا ظاهرة نفسية ليس لها أي أساس موضوعي تقوم عليه، وأبرز ممثل للإرجاعية السيكلوجية هو "سيجموند فرويد" الذي يرى أن الدين هو عوارض عصابية، نستطيع دراستها مع ظواهر العصاب الأخرى عند البشر، وبما أن فرويد لم يقيم بتقديم تعريف واضح للدين، فقد تعامل مع أمور ثانوية في الظاهرة الدينية وأعلى من شأن هذه الجزئيات وكأنها الدين كله، حيث يقوم بربط تعسفي بين الحس الديني وحاجة الإنسان إلى إله مشخص ليؤدي دور الأب، وقد رأى أن هذه الحاجة جاءت من مرحلة الطفولة التي يحس فيها الطفل بالضعف، ويرى الأب في صورة ترمز إلى منتهى القوة والقدرة وكمالهما، ثم يذهب فرويد بشطحاته بعيدا عندما يعمم مرحلة الطفولة هذه على الجنس البشري بأكمله فالمعتقدات الدينية بما أنها تحمل طابع الطفولة، وجب علينا تخطيها في تطورنا الحضاري كما نتجاوز الحالات المرضية والعصابية لنُشفى منها، كما يربط فرويد بين الدين والتشريع في الظهور ففي كتابيه "موسى والتوحيد" و"الطوطموالتابو"، يحكي عن قصة حدثت في القبائل البدائية، عندما قام الأولاد بقتل أبيهم، وسبي نساءه، شعروا بعد ذلك بالذنب وعليه حرّموا على أنفسهم نساء أبيهم، من هنا كان أول تشريع أقرّه البشر مرتبّا بالتحريم، وكما نعلم فإن التحريم ذا طابع ديني، وعليه بدأ الدين من أول تشريع بالتحريم¹، ومن الواضح أن هناك نقاط كثيرة سلبية في نظرية فرويد لا تنسجم مع روح المعتقدات الدينية التي تحرم الجنس المطلق، حيث أن إرجاع الظاهرة الدينية التي تدين بها أغلب البشرية بمختلف أديانها وعبر مختلف العصور والأمكنة إلى أسباب مرضية تسمى الجنس البشري كله بالجنون والحمق، وهو حكم يخالف ما اتفق عليه أصحاب الفكر الديني المحافظ إذا صح لنا التعبير فالبشر ليسوا جميعا ميالين لما هو شاذ عن القيم أو الفطرة البشرية.

نشأة الفكر الفلسفي

لقد كانت الفلسفة منذ ولوجها إلى الثقافة الإسلامية غير مرحب بها في الغالب، وخاصة من الفقهاء المزمّتين، فكانت الشكوك والشبهات تحوم حول المشتغلين بالفلسفة، وكان فيلسوف العرب الكندي أول فيلسوف عربي إسلامي يدافع عن الفلسفة ويشيد بها

¹ المرجع السابق نفسه، ص 07

وبشرف موضوعها مبينا أن مباحث الفلسفة هي نفس المباحث الفلسفية للدين وما جاء به الأنبياء، فكيف يرفض الفلسفة من يدعون أنهم علماء الدين؟"، لأن في علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية وعلم التوحيد وعلم الفضيلة وجملة كل علم نافع والسبيل إليه والبعد عن كل ضار والاحتباس منه واقتناء هذه جميعا هو الذي أتت به الرسل الصادقة¹، واستمرت عملياته التوفيق عند الفارابي وابن سينا، حتى وصلت إلى الفيلسوف ابن طفيل الذي صاغ مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين في قالب قصصي فريد من نوعه، فهو صاحب القصة الفلسفية المعروفة بجي بن يقظان، والتي حاول فيها أن يبين التطابق بين النقل والعقل، بين الدين والفلسفة من حيث أنهما يعبران عن حقيقة واحدة، فالدين يصورها بطريقة حسية والعقل يكتشفها ويصوغها في قالب عقلي أما ما يبدو في الظاهر أنه تعارض بين الدين والفلسفة، فهو رجع إلى اختلاف مستوى الإدراك عند كل من العامة والفلاسفة²، وهكذا افتتح الكندي مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين وسار على دربه الكثير من فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وإخوان الصفا وابن طفيل وغيرهم، بيد أن محاولات التوفيق عند هؤلاء جاءت مبثوثة في ثنايا آرائهم ومواقفهم الفلسفية، فلم تكن مسألة التوفيق مستقلة عن المسائل الفلسفية الأخرى، أما ابن رشد فقد امتاز بأنه خصص لها كتابا مستقلا وهو فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، وكان الهدف من هذا الكتاب أن يفحص "على جهة النظر الشرعي، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع أم محظور أم مأمور به إما على جهة الندب وأما على جهة الوجوب" يعرف ابن رشد الفلسفة بقوله "فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع لمعرفة صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم، وكان الشرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات وحث على ذلك فبين أن ما يدل عليه هذا الاسم إما واجب بالشرع وإما مندوب إليه عند هؤلاء جاءت مبثوثة في ثنايا آرائهم ومواقفهم الفلسفية، فلم تكن مسألة التوفيق مستقلة عن المسائل

¹ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دس، د.ط، ص 166

² ابن رشد فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تقديم أبو عمران الشيخ وجلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص 23

الفلسفية الأخرى¹، أما ابن رشد فقد امتاز بأنه خصص لها كتابا مستقلا وهو فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، وكان الهدف من هذا الكتاب أن يفحص "على جهة النظر الشرعي، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع أم محظور أم مأمور به إما على جهة الندب وأما على جهة الوجوب" يعرف ابن رشد الفلسفة بقوله "فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع لمعرفة صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم، وكان الشرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات وحث على ذلك فبين أن ما يدل عليه هذا الاسم إما واجب بالشرع وإما مندوب إليه²، فالشرع لا يعرض الحكمة بل يتوافق معها، على الرغم من أن طريق الحكمة هو العقل وطريق الشرع هو النقل، لكن يبقى على أهل الفكر البحث وإعمال العقل والتدبر في الأمور بميزان العدل والحلم والحس المعرفي العميق، فمن المعلوم أن ابن رشد كان موسوعيا فلقد جمع بين الفقه والقضاء والفلسفة والعلم .

المطلب رقم 02: علاقة الدين بالفكر الفلسفي

3. ربط الدين بالفكر الفلسفي

إن البحث في علاقة الدين بالفلسفة وإن كانت لا تهتم بالشعور بشكل مباشر، فهي على عكس ذلك تولي الفعل والاعتقاد اهتماما كبيرا، وهما من الموضوعات المباشرة للنقد الفلسفي هذا من جهة، ومن وجهة ثانية فيما أن الفلسفة من خلال دراستها تحاول أن تقترح قواعد عامة للسلوك تسهل على الأفراد حياتهم، كما أنها تقدم لهم نظريات مختلفة عن العالم، فهذا الأمر يتطلب بالضرورة أن تكون لها وجهة دينية، ومن خلال ذلك فإننا نجد أن الدين يحتاج لعقلانية الفلسفة، وهي بدورها أي الفلسفة لا تتجاهل مشكلات الدين وتولمها اهتماما كبيرا، فالصراع بين الفلسفة والدين ليس كما تصوره بعض الأطراف، فهو ليس عاما أو مطلقا وذلك لأن الفلسفات ليست كلها رافضة أو ملحدة، ولا الأديان كلها اتخذت من الفلسفة موقفا سلبيا³، طبعاً الصراع بين موضوع الفلسفة وموضوع الدين نتاج عنه في وقت من الأوقات لدرجة أن كلا منهما

¹ المصدر السابق نفسه، ص 23

² المصدر نفسه، ص 24

³ المرجع السابق نفسه، ص 11

ألغى الآخر، وهذا ما يفسر قيام فلسفات مادية أو ملحدة لا تعترف بالدين ولا بالإلهيات وفي المقابل نشأت فرق دينية كفرت الفلاسفة والعلماء، بل وصلت إلى حد ملاحقتهم أو إصدار أحكام بالموت في حقهم لا لشيء إلا لأنهم فلاسفة بينما نلمس في أحيان كثيرة وجود آلية للتوافق بين الفلسفة الدين...، فكان نتاج هذا التوافق وجود فلسفات مؤمنة سعت جاهدة لترسيخ المعطيات الدينية على أسس من العقل وقواعد المنطق، وذلك بغرض الدفاع عن العقيدة وحفظ تعاليمها¹، طبعاً هذا التحول المهم في العلاقة بين الفلسفة والدين جعل بعض المنتسبين للتيار الديني الفلسفي الدين يمارسون الدين انطلاقاً من العقل المقدم على النقل جعلهم يقولون "لا دين لمن لا عقل له"، فنحن إذا أمعنا النظر وجدنا أن التعاليم السماوية، والدينية، تفصل لنا قصة الخلق، كما تبين لنا علاقة الإنسان بربه وكذا علاقته بأخيه الإنسان، وأيضاً علاقته بالطبيعة، وهذه المواضيع التي نعرفها تحت مسميات الإلهيات، والطبيعات والأخلاق هي ذاتها المواضيع التي يدرسها المجال الفلسفي²، فالأمر متعلق بطبيعة الأدوات المستعملة في البحث لكن تبقى مواضيع البحث الديني والفلسفي متشابهة جداً كما أنها تخضع لطبيعة المجتمع وفكره ومدى الانفتاح أو الانغلاق فيه خصوصاً المجتمعات المتشددة فمواضيع الفلسفة تبدو منحصرة وبمعنى دقيق مراقبة من طرف الفقهاء وحراس السؤال دائماً فهو سيوف مسلطة على رقاب الفلسفة والفلاسفة .

الميثولوجيا الدينية وعلاقتها بالأساطير

موضوع الدين في الفكر اليوناني نجد أن الميثولوجيا اليونانية غنية بالأساطير التي تعبر عن التصورات الدينية فقد عظم اليونانيون الآرباب في الجبال والمغاور وعظموا الشمس والقمر والأفاعي والثيران جعلوا لكل مظهر أو صفة أو قوة أو حرفة ومهنة إله خاص بها، أو حارس لها، ويعتقدون بأن الكون مملوء بالأرواح الطيبة والخبيثة، وكان لهم حشد كبير من الآلهة إضافة إلى اعتقادهم بوجود شياطين ونساء مجنحات وجن واشباح بشعة، وكان لكل إله أسطورة تفسر سبب وجوده وتفسر طقوس عبادته وتكريمه، ومجموعة كل هذه الأساطير كونت عقيدة اليونان وفلسفتها وأدبها وتاريخها وتصنف آلهة اليونان السفنتين وهي: الآلهة الكبار وهي مستوية على عروشها في أعلى

¹ المرجع السابق نفسه، ن ص

² المرجع نفسه، ص 12

الجيل الأولي ومنه سميت الألعاب الأولمبية بذلك الاسم، وسيد هذه الآلهة وكبيرها هو زيوس رب الأرباب، الى جانب أثينا، وأبولو، أرتميس، وأريس، وهرمس، وافروديت، وهيرا، وبوسيدون، وديونيسيوس. الآلهة الصغار وهم آلهة الأرض وما تحتها، وآلهة الأسلاف والأبطال وعبادة، وهذه الفئة من الآلهة كانت منتشرة بين الفقراء عادة، وكانت طقوسها حزينة عكس طقوس الآلهة الكبار¹، يبدو أن ثقافة المجتمع اليوناني تتسم بالتمييز حتى في الآلهة فهناك دائما فرق بين الفقراء وبين الأغنياء بين السادة وبين العبيد تلك هي طبيعة المجتمع البشري، وأثناء الحروب كانت المدينة تخرج للحرب حاملة معها إلهها أو آلهتها، فكانت مدينة أثينا تحمل الإلهة أثينا، ومدينة ايليوزيس تحمل ديميتير.... ولا تخطو أي مدينة خطوة نحو حروبها إلا بعد اخذ الاستشارة من هذا الإله او ذاك، كما لو كان المجتمع اليوناني متدين ويقدر الإلهة لكن بشكل وثني ومتعدد، فالنصر في المعركة يبني انتصار للإلهة، وعمد الإغريق لاسترضاء آلهتهم عن طريق القيام بطقوس من الصلوات والتضحيات والرموز والاحتفالات، تقيمها عادة كاهنات من النساء، وكانت الموسيقى عنصرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه في هذه الاحتفالات، وكانت القرابين تقدم في شكل تماثيل وأنية وأسلحة وثياب وثمار، كما كانت تقدم القرابين الحيوانية وأحيانا من الآدميين، وقد بقيت تقدم لزيوس الأضاحيا لأدمية حتى القرن الثاني ميلادي²، وكان اليونانيون يعتقدون بوجود الشياطين، ولطردوا عمدا الى طقوس خاصة منها حرق البخور لإثارة حماس الإله الغافل؟، أو النفخ في صدف بحرية كبيرة، أو الضرب على القيثارة أو الناي مع تلاوة أناشيد جماعية وعظموا موتاهم فكانوا يدفنونهم في توابيت من صلصال، ويوضع معهم قليلا من الطعام وأدوات الزينة، ويعتقدون أنأرواح الموتى قادرة على فعل الخير والشر، وكانوا يؤمنون في الكهانة والعرافة وأشهرها ما كان يحدث في معبد دلفي حيث كان الإله أبولو يكشف لإتباعه ما خفي عنهم بواسطة كهنة المعبد، واعتقدوا بإمكانية نزول إله ما إلى الأرض وقدرته على تقمص أو تلبس جسد إنسان معين فيحوّله إلى إله، ويمكنه الاتصال جنسيا مع أنثى من البشر لتلد بطلا إلهيا كما فعل زيوس الذي أنجب هرقل بهذه الطريقة ولم يكن للمدينة

¹ حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ومعجم أهم المعبودات

القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1994، ص 101

² المرجع نفسه، ص 104

الدولة دين رسمي يؤمن به الجميع، بل كان في وسع أي إنسان الإيمان بما شاء من العقائد، بشرط ألا يكفر بآلهة المدينة أو وكان الشعراء أمثال بيندار وكتاب التراجيديا أمثال اخيلوس ... باستمرار بالهوية التي تفصل بين الخالدين والفانين، لاسيما في مجال القدرة والقوة. ان الآلهة تتمتع بالخلود والسعادة وتدبر كل شيء تبعاً لإرادتها، بينما سعادة البشر أن تحققت فلن تدوم. وهذا الكلام ينسحب على الفلاسفة الأوائل حيث كانت رؤيتهم للعالم لا تختلف عن رؤية هذا الميراث الأسطوري له، لكنهم كانوا يحاولون استخلاص دروسا في الحكمة من هذا التراث، ففكر هيراقليطس في اللوغوس وكان يعني به الواحد الذي يوجد على الدوام¹، وبعضهم انتقد ما يهيمن على الناس في هذا التقليد من نزعة إضفاء الصفات الإنسانية على الآلهة، وقد أخذ زينوفان على الشعراء كونهم نسبوا إلى الآلهة خصائص إنسانية فقال "لو أن البقر والخيول والأسود كانت لها إباد تستطيع إن ترسم بها وتصنع أثارا فنية كاللبن لرسمت أبداناً للآلهة على صورة أبدان أنواعها المتعددة، ولجعلت الخيل الآلهة في هيئة الخيل، وعلى نموذج هيئتها ستنقشها البقر" في حين الإله عنده لا يشبه أحد في هيئته أو عقله²، يبدو لنا أن الدين والمعتقد في المجتمع اليوناني كان يمثل ركيزة قوية في حياة الناس بحيث موضوعه كان يدخل في أدق تفاصيل الحياة سيئها وحسنها فكلها كانت تصبغ بالدين ومباركة الإلهة، ومن أشهر الفرق الدينية في اليونان نجد الأورفية والفيثاغورية والأورفية.

خاتمة:

إن بإمكان الفلسفة أن تفهم معنى الحياة بوجه عام. وإن تفسير الكثير من تعقيدات الحياة المجتمعية إلا أنه ليس بإمكانها أن تخلق مجتمعا ذو صفات تميزه عن غيره من مجتمعات أخرى. ولا تستطيع توفير ما يكفي تجانس ثقافي في ما بينهم. وفي المقابل يتميز الذي نبع قدرته الفائقة على خالق مجتمعات متجانسة تتوفر لإفرادها العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات الكفيلة بتوحيدهم إلا أنه ليس من السهل على الذين أن يفهم تعقيدات الحياة وأن يتعامل مع ما تعيشه المجتمعات الإنسانية من تطورات لا تتوقف عن التغير وإذا كان بمقدور منا هذا فالتدين أيضا خلق مجتمعات متجانسة

¹ جون غروندان، فلسفة الدين، ترجمة عبد الله المتوكل، مؤسسة مؤمنون بلا حدود

، للدراسات والأبحاث، المملكة المغربية، الرباط، بيروت، ط 1 2017، ص 58

² المرجع نفسه، ص 85

تلتزم بأخلاقيات حميدة. فانه ليس بمقدور ولا منا هذا فالفلسفة تأسيس مجتمعات بناء على أخلاقيات حميدة أو غير حميدة. حيث يحدث تصادم بين نظرات فلسفية ومنقولات دينية كقول كثير من الفلاسفة إن عملية الخلق هي قائمة على صور أو فيض. لا على إيجاد من عدمكما يقول بإزالة النفس وقد جمع الغزالي كثير من هذا الباب فكتابه "تهافت الفلاسفة" الذي نجرى كلاما فيه صواب وخطا وخط وترتيب ووضوح وغموض. وقد نبه إلى معاييب ابن رشد في رد هو كذا ابن الطفيل في مقدمة كتابه "حي بن يقظان"

علاوة على هذا فان الدين أنتج لاهوت عقليا وكلاما جديا ابعد الناس عن الإيمان الصافي الرحب وعن التجربة المتدفقة بينما الفلسفة أنتجت دينا مدنيا يتلاءم مع شؤون الدنيا ويدعم القوانين الاجتماعية والحقوق الوضعية. وفي ذلك تباين ثالث. وقد ترتب عن هذا الوضع المتفجر دخول ألأهوت الكنشي في صراع مع الفلسفة وخشيته منها ودخول الفلسفة في صراع مع الدين الشعبي وحذرهما الشديد منه وصارت الفلسفة معادية للدين والذين معادي الفلسفة وبدا وكان الذين يطلب الإنسان التخلي عن الفلسفة ليكون مؤمنا حقيقيا وبدا أيضا وكان الفلسفة تطلب من الإنسان التخلي عن الدين ليصير فيلسوفا بإطلاقزد على ذلك أن الفلسفة حينما تتدخل في الشأن الديني كثيرا ما تفسده وتهدمه وتدنس حسب رجال الدين وان الدين حينما يتدخل في الشأن الفلسفي كثيرا ما يحرمه ويعطله ويكفره حسب العديد من المفكرين الأحرار كما انه يوجد في الدين من الإعجاز والأسرار ما يفوق قدرة العقل البشري وفي نظرة الفلسفة يوجد في الإبداعية الإنسانية من قدرة على الابتكار ما لم يخبر به ظاهر الدين علاوة على أن الحقيقة في الدين تنزل من الفوق إلى التحت ومن السماء إلى الأرض عن طريق الرسالة التي تحملها الملائكة وعبر واسطة الرسل والأنبياء وأوصوا والذين يظهرون المعجزات ويبينوا علامات على صدق ما يوحي لهم وما وصوابهم نظرف اللهو هنا تمثل مهمة الإنسان المخلوق في الإصغاء والتطبيق والحمد والشكر في حين إن الحقيقة في الفلسفة تصعد من التحت إلى الفوق ومن الأرض.

قائمة المصادر والمراجع

- 01- الفاسي علال، النقد الذاتي، دار الكتاب المغربي، المغرب، دط، 2007 .
- 02- أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دس، دط
- 03- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تقديم أبو عمران الشيخ وجلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 2007
- 04- بدوي عبد الرحمان، أرسطو، النهضة المصرية 1964، ط4
- 05- شويحات احمد، موسوعة العربية العلمية، الفلسفة وأهميتها، 2007
- 06- بن عبد الله عبد العزيز، معلمة التصوف الإسلامي، ج1، دار المعرفة، الرباط، المغرب، دط، 2001 .
- 07- بن نبي مالك، الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصر، 1961 .
- 08- بوترو إميل، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر العربية، دط.
- 09- ديكارت روني، مبادئ الفلسفة، ترجمة وتقديم عثمان أمين، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس
- 10- عيسى معيلي، محاضرات في فلسفة الدين
- 11- نعمة، حسن موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1994
- 12- غروندان جون، فلسفة الدين، ترجمة عبد الله المتوكل، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، للدراسات والأبحاث، المملكة المغربية، الرباط، بيروت، ط 1 2017